العرب
الثلاثاء 2021/07/13
السنة 44 العدد 12118

بريق عقيق اليمن يخفت بسبب الحرب والمنافسة والتزييف

النساء يبدعن في صقل الحجارة الكريمة رغم ازدراء الرجال

العقيق حجارة كريمة استخرجها اليمنيّون من أعماق الجبال وأبدعوا في صقلها وتزينوا بها رجالا ونساء وسحروا بجمالها العرب والسياح من الغرب، لكنها اليوم تواجه عقبات شتى منها الحرب والمنافسات والتزييف ولم يبق لهذه الحجارة إلا إصرار حرفييها على مواصلة الاهتمام بها والحفاظ على نفاستها.

رحلة الحجر مع الأنامل اليمنية

صنعاء - على الرغم من كونها أحجارا كريمة، فإنها بعد ست سنوات من حرب وحشية غير كريمة، باتت قيمتها تكمن فقط في الجهد الكبير الذي يبذله مستخرجوها من عمق الجبال وبطون الصخور.

تحاول صناعة العقيق اليماني، وهو من أنواع الأحجار الكريمة التي اشتهر بصناعته هذا البلد، البقاء "على قيد الحياة" وسط ظروف صعبة للغاية بسبب الحرب الطاحنة التي تشهدها البلاد منذ أكثر من ست سنوات.

وتتركز هذه الصناعة العريقة في "سمسرة النحاس"، وهي مجموعة من المحلات أو الدكاكين الصغيرة يمتلكها النحاسون والذين يصنعون الأدوات النحاسية، وسط المدينة التاريخية في العاصمة صنعاء.

وتعد "سمسره النحاس" من أقدم المباني في صنعاء القديمة حيث يرجع تاريخ بنائها إلى العام 1752، وأصبحت مركزا لأحياء التراث والمحافظة على النشاط الحرفي والتقليدي، ومزارا سياحيا ومعرضا لتسويق المشغولات والمنتجات الحرفية والتقليدية التي تصنع فيها يدويا، ومركزا تعليميا حيث تخرج منها الكثير من الكوادر الحرفية التي امتهنت العديد من الحرف مثل صناعة العقيق اليماني والفضّة والنسيج.

منى علي، امرأة يمنية حرفية ومدربة نحت، تأتي كل يوم إلى مركز نحت وصياغة الأحجار الكريمة في مركز "سمسرة النحاس"، كي تتمكن من مساعدة زوجها الذي فقد عمله بسبب الأوضاع الراهنة وتلبية حاجات أسرتها المكونة من خمسة أفراد.

وتمكنت هذه السيدة من اكتساب مهارة عالية في نحت وصياغة الأحجار الكريمة التي يتم جلبها إلى المركز بأحجام مختلفة وإخضاعها لعدة مراحل إلى أن تصبح جاهزة.

تمارس منى حرفتها، شغل العقيق، بالطريقة اليدوية القديمة، وتشرح عملها بالقول "بداية، نأخذ قطعة حجر ونقوم بتقطيعها إلى شرائح بالمنشار، ومن ثم ننتقل إلى المرحلة الثانية، وهي جلخ الفص (شرائح الحجر)".

وتستمر منى في عملها، على الرغم من معارضة المجتمع، بسبب طبيعة المكان الذي يرتاده الرجال ولكونها تمارسه بطرق بدائية وآلات حادة وخطيرة قد لا تقوى على ممارستها امرأة.

تقول منى "واجهتنا صعوبات، ولكننا تجاوزناها وواصلنا العمل واشتغلنا بنجاح، واستطعنا إثبات وجودنا كنساء في شغل العقيق والأحجار الكريمة".

ويُستخرج العقيق اليماني من جبال في اليمن، بطريقة يدوية وجهد ذاتي عن طريق الحفر من جانب المواطنين، قبل أن يتم تحويله إلى مصوغات وخواتم وأحزمة وسلاسل للزينة للرجال والنساء.

إلى جانب منى، يعمل في المركز حرفيون آخرون، مثل مجاهد الآنسي رئيس قسم الأحجار الكريمة وشبة الكريمة في المركز، الذي يحتضن هذه الصناعة منذ عقود طويلة.

ويُعد الآنسي من المناضلين القدامى في هذا العمل، على الرغم من شح الدعم والإمكانات. وهو متعلق بهذا الحجر "روحيا" لكون أسرته توارثت هذه المهنة أبا عن جد.

يقول مجاهد "لدي شغف بالحرفة منذ الصغر، وقد طوّرتُ مهارتي من عملية التنقيب والاستخراج إلى عملية الشغل والتجهيز في المعمل. وكذلك قمت بعملية التدريب والتأهيل، فأنا أعشق هذه الحرفة لأنها حضارة وتاريخ وتراث مرتبط بحضارة الأجداد القدامى".

> استخراج العقيق وصقله وتسويقه، يتم من دون رقابة من جانب السلطات وذوي الخبرة

ويرى أن عملية اكتشاف واستخراج الأحجار الكريمة وإنتاج أشكال جديدة تتم بشكل عشوائي في البلاد، ولا تخضع لقواعد أو قوانين علمية أو حتى فنية.

ويشير إلى أن "عملية استخراجها، وتجهيزها وتسويقها، تتم من دون رقابة من جانب المعنيين وذوي الخبرة والدراية بطرق الاستخراج الصحيحة والآمنة".

ويقول "ثمة ضرورة قصوى لوجود جهة رسمية تنظم هذه العملية، سواء كانت وزارة الثقافة أو هيئة المعادن والمساحة الجيولوجية أو أي جهة أخرى تمثل الدولة في إطار ضبط الجودة والمنتج والمحافظة على مستواه".

وعلى الرغم من شهرة اليمن بتميّز عقيقها، فإن عملية إنتاجه وتجارته تدهورت بشكل كبير بسبب الحرب التي دمرت الاقتصاد اليمني وأدت إلى توقف السياحة الداخلية وكذلك الخارجية، وتضاعفت تكاليف استخراجه وصناعته، وباتت تجارة الحجر الكريم ضئيلة ومحصورة داخليا.

ويشكو يحيى جابر الشيخ، وهو من أوائل الحرفيين في مركز "سمسرة النحاس"، من تردي الطلب على العقيق اليماني، مقارنة بما كان سابقا قبل الحرب التي أدت إلى انقطاع توافد السياح.

يقول الشيخ "كما أن استيراد الأحجار الكريمة المزيفة من الخارج كان له تأثير على تجارة العقيق اليماني الأصلي الطبيعي".

ويضيف "إذا أردت ترويج عملك وإنتاجك، لا تجد من يقدر أو يثمن قيمته ويشتريه، كما كان سابقا من جانب السياح العرب أو الأجانب، بعدما أغلقت الحرب المنافذ وأعاقت تصدير العقيق إلى الخارج".

ويعتبر الشيخ واحدا من العشرات من التجار الذين لا زالوا يكافحون من أجل فتح متاجرهم واستقبال زوارها المحليين والنادر زيارتهم لها، بعد أن أغلقت العشرات من المحلات الأخرى أبوابها عقب إفلاسها وعدم قدرة مالكيها حتى على دفع إيجار المحلات.

وتختلف أنواع العقيق من حيث الثمن والجودة، اعتمادا على اللون الجذاب الذي يعطي الحجارة قيمة أعلى، فضلا عن ارتباطها ببعض الأساطير التي تزعم بأنه يجلب الرزق ويعزز الثقة بالنفس لمن يحمله.

وفي حي "باب اليمن" داخل المدينة القديمة في صنعاء، لا تزال تجارة العقيق قائمة في الكثير من المحلات التجارية، المليئة بأصناف مختلفة منه.

وبعدما كانت هذه المحلات قبل سنوات مزارا مهما للسياح من أنحاء العالم، باتت اليوم تقتصر على المتسوّقين المحليين.

ويرى تجار وبائعو العقيق اليماني والأحجار الكريمة أن الحرب أثرت بشكل كبير على كل العاملين في مجال صناعة العقيق وتجارته، ولم تعد كما كانت عليه قبل الحرب.

العقيق هوية الجمال

زينة الرجال والنساء

مدرسة لإحياء فنون قدماء المصريين من الخزف والفخار

الأقصر (مصر) - سيرا على خُطى الفنانة والخزّافة السويسرية إيفلين بوريه، مؤسسة مدرسة الخزف والفخار، بقرية تونس في محافظة الفيوم المصرية، انتقل الشقيقان بركات وصالح صالح توفيق من قريتهما في الفيوم، إلى منطقة القُرنَة بالبر الغربي لمدينة الأقصر التاريخية بصعيد مصر، حيث أقاما أول مدرسة لتعليم الخزف والفخار بالمنطقة الغنية بالمئات من المقابر والعشرات من المعابد التي شيدها ملوك وملكات ونبلاء مصر القديمة قبل الآلاف من السنين.

المدرسة التي تطل على متحف وبيت البريطاني هوارد كارتر، مكتشف كنوز ومقبرة الفرعون الذهبي، الملك توت عنخ آمون، بدأت تستقبل الراغبين في دراسة وتعلم فنون الخزف والفخار من المصريين والأجانب المقيمين في المنطقة.

ويقول الشقيقان بركات وصالح، إن الهدف من المدرسة هو إحياء فنون قدماء المصريين، الذين سكنوا المنطقة قبل الآلاف من السنين وشيدوا المعابد ونحتوا المقابر في بطون الجبال وأقاموا أول وأقدم قرية للفنانين بالعالم، ونقل تلك الفنون إلى بلدان العالم أجمع عبر تعليم متدربين وطلاب أجانب ينتمون إلى قارات مختلفة بالعالم، ومن خلال تخريج أجيال جديدة من الخزافين المصريين.

ويشير الشقيقان إلى أن فكرة المدرسة جاءت امتدادا لتلك المدرسة الشهيرة التي شيدتها الفنانة السويسرية إيفيلين بوريه، في قريتهم تونس بمحافظة الفيوم، حيث أوفدتهم الفنانة الفرنسية لنقل تجربتها في قرية تونس إلى الأقصر، وذلك بعد النجاح الكبير والشهرة العالمية التي حظيت بها قرية تونس، والتي صارت مكانا يزوره عشاق الفنون من سياح العالم.

ولفت الشقيقان إلى أنهما نجحا قبل عامين ماضيين في أن يستقلا بالمدرسة عن مشروع الفنانة السويسرية إيفلين بوريه، وأن تصبح مدرستهما غربي الأقصر، مشروعا مستقلا يعتمد على إنتاجه من القطع الخزفية ومنتجات الفخار، دون الحاجة إلى جهات داعمة، وأن ذلك كان هو المخطط للمدرسة -عند افتتاحها قبل قرابة عشر سنوات- من قبل الفنانة السويسرية الراحلة، التي فارقت الحياة هذا العام، بعد أن جعلت من قرية تونس في محافظة الفيوم مزارا فنيا عالميا.

ويؤكد الشقيقان بركات وصالح على أن مدرستهما نجحت أيضا في إحياء فنون الخزف والفخار، وحماية تلك الفنون المصرية القديمة من الاندثار، وأن أجيالا جديدة من الأطفال والشبان والفتيات، صاروا قادرين على ممارسة تلك الفنون، وذلك بعد أن صاروا يمتلكون أدواتهم الفنية بقوة جعلتهم مؤهلين لممارسة تلك الفنون بجدارة.

وصارت منتجاتهم تُصدّر للكثير من البلدان، وتُباع للسياح الأجانب الذين يفدون بالآلاف لزيارة المعابد والمقابر الأثرية في المنطقة.

ويقول الراوي أحمد الراوي، وهو تربوي من سكان منطقة القُرنَة حيث تقع مدرسة الخزف والفخار، إن المدرسة جاءت لتسد فراغا كانت تحتاجه المنطقة التي تتفرد بوجود عدد ضخم من الفنانين الفطريين، الذين يعملون في نحت ونقش ورسم التماثيل واللوحات التي يستلهمونها من المعابد، ومن النقوش والرسوم التي تُزين مقابر قدماء المصريين، والمنحوتة في صخور الجبال بالمنطقة، حيث تباع تلك التماثيل واللوحات للزوار من سياح العالم، الذين يفدون على مدار العام لزيارة معابد مقابر ملوك وملكات ونبلاء الفراعنة التي تنتشر بطول المنطقة وعرضها.

> المدرسة باتت قبلة للكثير من الأطفال والشباب المصريين بجانب السياح الأجانب

ويُشير الراوي إلى أن فنون الخزف والفخار كانت غائبة عن المنطقة، برغم كونها فنونا عرفها قدماء المصريين من الفنانين الذين سكنوا في البر الغربي للأقصر قبل الآلاف من السنين، لافتا إلى أن المدرسة باتت قبلة للكثير من الأطفال والشباب من سكان المنطقة، بجانب السياح الأجانب الذين يقيمون بشكل دائم في الأقصر، لتنضمّ فنون الخزف والفخار إلى فنون نحت التماثيل واللوحات الفرعونية، التي يشتهر بها السكان المحليون.

ومن المعروف أن مصر القديمة، عرفت فنون الخزف والفخار قبل الآلاف من السنين، كما عرفت تصدير منتجاتها من الفخار إلى البلدان المجاورة، مثل أرض بابل.

وبحسب المدير العام لآثار منطقة الأقصر ومصر العليا الدكتور محمد يحيى عويضة، فإن رسائل عثر عليها باللغة السومرية، تُشير إلى أن مدينة الطود التاريخية، جنوب شرق مدينة الأقصر بصعيد مصر، كانت تُصدر الأواني الفخارية لتستخدم في معابد بابل القديمة.

وكما يقول عويضة، فإن قدماء المصريين عرفوا نوعين من الفخار، أجودهما هو "الفيانس" الذي كان يُعرف لدى قدماء المصريين باسم "اللامع" والذي استعمل في صنعه الكوارتز، وتضمنت المنتجات المصنعة من الفيانس في مصر القديمة، الخرز والجعارين وتماثيل الأوشابتي المجيبة التي كانت توضع ضمن متعلقات الموتى عند دفنهم داخل المقابر، ومجموعات الحُلي والأواني الزخرفية.

وأما النوع الثاني من الفخار، وهو الذي كان الأكثر استعمالا فقد صُنع من طمي نهر النيل، وقد عُرفت بعض المناطق بجودة الطمي بها وصلاحيته العالية لصناعة الفخار، مثل منطقة "البلاص" في محافظة قنا، والتي تشتهر حتى اليوم بصناعة منتجات الفخار.

ولفت إلى أن صناعة الفخار في مصر العليا، تقدمت تقدما عظيما في عصور ما قبل التاريخ.. وأن أواني الدولة الحديثة -في مصر القديمة- اشتهرت بالطلاءات الزاهية، والزخارف الزهرية بهيجة المنظر.